

آسِرَةُ الْحُلْمِ - آسِرَةُ الْأَقْحُوَانِ

فِي الصَّبَابِ الْحَفِيّ الْمَحَطَّةُ شَيْءٌ مِنْ الْبُرْدِ وَالضِّلُّ يَلْتَفُّ مِثْلَ الْخِيوطِ
عَلَى قَدَمَيَّ الْوُجُومِ أَوْ الْهَمْسِ نِينَ بَنَاتٍ إِلَى حَائِطِ الْجِصِّ لُدْنٌ تَمَاوَجَتْ فِي
الْعَلْسِ الدَّائِرِيِّ اخْتَرَقَتِ الْعُبَارُ إِلَيَّ فَمَادَا عَسَاكَ تَقُولِينَ لِي فِي الْمَحَطَّةِ
فِي عَنَمَةِ الْفَجْرِ صَفْصَفَاتَانِ مِنَ الضَّوْءِ تَنْطَفِنَانِ الْمَعَاظِفُ تُجْرِفُهَا الرِّيحُ فِي
السَّبِيلِ الْمُتَعَرِّجَةِ الْبُرْدُ أَسْوَدُ وَالظَّلُّ وَالْعُرْبَاءُ اللَّقَاءُ السَّرِيعُ بِإِيمَاءَةٍ أَوْ
مُصَافِحَةٍ وَ أَمُدُّ إِلَيْكَ يَدَيَّ وَ وَجْهَكَ فِي لَمَعَةِ الشَّارِعِ الْمَطْرِيِّ
يُخَالِسُنِي الرَّوِيَّةُ أَنْتِ آسِرَةُ الْحُلْمِ آسِرَةُ الْأَقْحُوَانِ فَمَادَا عَسَاكَ تَقُولِينَ بَعْدُ

سَيَحْطُفُكَ الْفَجْرُ لِلْمَوْجِ فِي الْعَلْسِ الْغَامِضِ الدَّائِرِيِّ ثَوَارِيثَ فِي خَيْمَةٍ
لِلْعُبَارِ أَظَلُّ أَرْقُبُ فِي وَحْدَتِي شَبَّحَ أَمْرًا تَحْتَفِي فِي الرِّصِيفِ الْمُعْتَرِّ تَبْدُو
عَلَى مَذْرَجِ الْبَابِ تُطْبِقُ مِنْ خَلْفِهَا الْمَصْرَعِ الْخَشْبِيِّ الْبُرُودَةَ تَلْتَفُّ فِي
قَدَمَيَّ وَ فِي زُرْقَةِ الطَّرِيقِ الْمَوْجِسَاتِ الْمَصَابِيحُ تُطْفَأُ هَسْهَسَةَ الْعُرْبَاءِ الْعَصَافِيرُ
تُسْحَبُ أَجْبِحَةَ الْعَيْمِ لِلْفَلَكِ الشَّقِيقِي الْمِظَلَّاتِ تُفْتَحُ فِي الْمَطْرِ الْمُتَفَجِّرِ إِنِّي أَحْدَقُ
فِي عُمُقٍ مِرَاتِيهَا الْمَحَطَّةُ قُرْبَ الْحَدِيقَةِ شَاجِبَةٌ وَ الْقَرِيبَةُ فِي الضَّوْءِ ثَانِي
عَلَى مَهَلٍ يَدَهَا تَحْطَفَةُ لِلْمَجْرَابِ وَ الْبُرْقِ وَالْآبُوسِ فَمَادَا عَسَاكَ تَقُولِينَ
مَا قَلَّتْ شَيْئًا وَ فِي وَحْدَتِي الْآنَ أَرْقُبُ عَمْرَ الرَّجَاجِ التَّدِيّ الْحَطَّابِ تُفْقِرُ سَيَارَةَ
تَتْرَاجَعُ تَحْتَ جِدَارٍ وَ وَجْهًا تُفْرُ بِهِ الْحَافِلَاتُ وَ ضَوْءًا صَغِيرًا مَعَ الْفَجْرِ فِي
الطَّابِقِ الثَّلَاثِ الرِّيحُ تُنْهَشُ أَرْوِيَّةَ الْعَابِرِينَ الْجِحَارَةَ وَ الْبُرْدُ وَالْوَرَقُ الْأَحْمَرُ
الْمَطَايِرُ فِي الْمَجْرِ وَ الْمَطَرُ الْعَصْبِيُّ الْمِظَلَّاتِ تُسْرِعُ فِي السَّبِيلِ الْمُتَعَرِّجَةِ الْفَتَيَاتِ
تُصَاحَكْنَ فِي الْحَافِلَاتِ الْمَلِيحَةِ أَسْمَعُ إِسْمَكَ أَبْهَتْ مُلْتَفِتًا (تِلْكَ إِحْدَى الْبَنَاتِ ثُنَادِي
صَدِيقَتَهَا)

أَجْفَلَ الرَّغْدُ صَدَّكَ أَقَاصِي الْمَدِينَةِ مَاذَا عَسَاكَ تَقُولِينَ إِنِّي أَرَى غَزَلَةَ عُنْتَمَةَ
وَرَقًا ذَهَبِيًّا تُسِفُّ بِهِ الرِّيحُ رَائِحَةَ السَّيِّدَاتِ يَجْتَمُنَ مِنْ الْمَطَرِ الْهَمَجِي
الْمَسَاحِيقِ وَ الْبَسَمَاتِ فَمَاذَا تَقُولِينَ هَلْ قُلْتِ شَيْئًا وَ كَيْفَ الْبِدَايَةَ مِنْكَ وَ
كَيْفَ الْبِدَايَاتِ كَانَتْ دَمًا أَمْ حَرِيرًا وَ لِأَسْمِكَ أَيُّ مُسَمًى وَ هَلْ تُعْبِرِينَ الْمَحَطَّاتِ
وَ خَدِّكَ فِي أَيِّ نَوْبٍ تُطَوِّفِينَ أَيُّ اتِّسَاعٍ لِعَيْنَيْكَ أَيُّ رَبِيعٍ عَدَائِكَ السُّمُرُ قُولِي إِلَيَّ
أَيُّ لَوْنٍ تَرَى أَتَيْتَ مِنْ مَنْ وَ بِأَيِّ كَلَامٍ إِلَى أَيِّ مَمْلَكَةٍ هَلْ
تَسَاءَلْتِ كَيْفَ مِنَ النَّارِ وَ الْقَلْبِ وَ جَهَنَّمَ مَاذَا عَسَاكَ تَقُولِينَ لِي

فِي الرَّوَابِقِ الْمُجْتَصِّصِ لَيْسَ سِوَى الْغَيْمِ وَالْوَحْشَةِ الْخَائِظِ الْمُرْتَجِعِ عِبرَ الْمَتَاهَاتِ
فِي لُجَّةِ الْمَجْرَةِ الْفَلَكِيَّةِ يَا أَيُّهَا الْحَجْرُ الْمُرْتَاصِفُ مِثْلَ الْقَوَائِمِ إِنْشَقَّ عَنْ
وَجْهِهَا الْمَلِكِيُّ فَظَلَّتِي عِبْرَ الْخِدَارَاتِ يَكْتُبُو عَلَى ظُلْمَةِ الْجِصِّ أَوْ فِي
رُطُوبَةِ لَيْلِ الْمَعَابِرِ يَا أَيُّهَا الْحَجْرُ الْمُرْتَاصِفُ يَظَلِّي الدُّخَانَ أَوْ الْقَشُّ فِي لُجَّةِ
الْأَبْيَاسِ وَ يَنْفَجِرُ الضُّوءُ فِي وَجْهِهَا الْغَرِيبَةُ تَأْتِي مَتَوَجَّهَةً بِالْفَجَاعَةِ وَ الْيَاسِمِينَ
الْفَتَاةَ الْغَرِيبَةَ تَعْبُرُ نَحْوِي الْفِضَاءَ الْفَتَاةَ الرَّهِيْبَةَ تَأْتِي عَلَى مَهَلٍ كُلُّ صَمْتٍ
حَوَالَيْهَا يَشْحَبُ أَوْ يَذْهَلُ الْآنَ لَا الْمَخُ مِنْ طَيْفِهَا غَيْرَ حَصَلَتِهَا أَوْ
أَصَابَهَا الْمُتَأَلِّفَةَ النَّوْرَ أَيْضُ بِيضَاءُ حُطَّوْنُهَا الْمَلِكِيَّةِ عِبْرَ الرَّجَاجِ عَلَى
الْجِصِّ عِنْدَ التَّوَائِدِ فِي مَدِينِ كَالْقَوَائِمِ

يَا أَيُّهَا الْحَجْرُ الْمُرْتَاصِفُ لَا الْمَخُ الْآنَ شَيْئًا سِوَى شَيْءٍ غَيْرَ عَطْفَةٍ
أَرْوَقَةِ الْجِصِّ تَنْهَشُهُ الرِّيحُ مِثْلَ مُفْرَعِ طَيْرٍ حَصَى فِي الطَّرِيقِ الْعِمَارَاتِ تَرْفُصُ مَائِلَةً
كَالْقَوَائِرِ وَ الْوَرَقِ الْأَحْمَرِ الْمُنْدَاوِلِ طَيِّ الْعَوَاصِفِ كَيْفَ آخَفْتِي وَجْهِهَا الْمَلِكِيَّ
وَ هَلْ سَأَرَى طَيْفَهَا مَرَّةً فَمَوَاجِعِي الْيَوْمِ فِي الْأَوْجِ أَحْزَانِي الْيَوْمِ لَا
تُوصِفُ الْيَوْمِ أَصْبَحْتُ أَعْزَلُ كَيْفَ سَأَلْتُكَ يَا أَيُّهَا الْحَجْرُ الْمُرْتَاصِفُ
كَيْفَ.

وَفِي وَخَدِّي الْآنَ أَضْحَكَكَ مِنِّي وَ أَضْحَكَكَ مِنْ حُلْمِي الْمُرْتَهِّلِ مُتَكَنًّا
فَوْقَ حَاجِزِ مَقْهَى الْمَطَارِ

محمد كمال المدائني